صفحات من التاريخ

معارك البصرة والأهواز

بينما كانت تدور رحى معركة المدائن فى منطقة العراق الوسطى ومعارك تحرير شمالى العراق, كان اهتمام العرب- لضمان خطوط مؤخرتهم بشكل كامل- منصرفا إلى منطقة البصرة التى حاول الفرس أن يستعيدوا نفوذهم فيها لانشغال معظم الجيوش العربية فى القتال فى وط العراق وشماله.

وقد أرسل الخليفة عمر بن الخطاب إلى هذه المنطقة عتبة بن غزوان المازنى أحد صحابة الرسول , وجعل فى رأس مهامه إجلاء الفرس عن تلك الديار, وإرجاعها إلى الحظيرة العربية , ومشاغلة الفرس عن نجدة بني جلدتهم فى المعارك الناشئة فى مناطق الوسط والشمال, كما تبين من نصيحة الخليفة لقائده وهو يودعه:

" يا عتبة ! إن اخوانك من المسلمين قد غلبوا على الحيرة وما يليها, وعبرت خيلهم الفرات حتى وطئت بابل, وإن خيلم اليوم لتغير حتى تشارف المدائن, وقد بعثتك فى هذا الجيش فاقصد قصد أهل الأهواز فاشغل أهل تلك الناحية أن يمدوا أصحابهم بناحية السواد على اخوانكم الذين هناك وقاتلتهم مما يلي الأبلة"

وقد استطاع القائد الصحابي أن ينفذ أوامر الخليفة وتعاليمه تنفيذا مبدعا كما نستدل على ذلك من رسالته التي بعث بها إلى دار الخلافة:

" أما بعد فإن الله, ولله الحمد , فتح علينا الأبلة وهي مرقى سفن البحر من عمان والبحرين وفارس والهند والصين,وأغنمنا ذهبهم وفضتهم وذراريهم, وأنا كاتب اليك بيان ذلك ان شاء الله"

وهكذا استطاع عتبة انطلاقا من مركزه فى الأبلة أن يقضي على النجدات الفارسية التي كانت تهم بالاشتراك في المعارك

الحاسمة الناشبة في الوسط والشمال, وذلك باستدراجها وإرغامها على الدخول في معارك كان يكتب له النجاح فيها.

ولكن حدث بعد معركة بابل أن فر أحد قادة الفرس واسمه الهرمزان, وجعل وجهة الأهواز حيث تقطن عشيرته,

واستطاع بما له من نفوذ هناك أن يشكل جيشا جعل يغير به على منطقة البصرة , ليضطلع بالنسبة إلى الفرس بدور عتبة, أي التخفيف عن القوى الفارسية المحاربة فى الشمال.

ولما شعر عتبة بوطأة الهرمزان عليه, سارع بطلب النجدة من القائد العام في العراق: سعد بن وقاص , فأمده برتلين اثنين أحدهما بقيادة نعيم بن مسعود والآخر بقيادة نعيم بن مقرن . وقد استطاع هذان الرتلان مع رتل البصرة , ومؤازرة القبائل العربية التى كانت تقطن منطقة الأهواز قبل الاسلام وعلى رأسها غالب الوائلي وكليب بن وائل الكلبي , دحر جيش الهرمزان فاضطر هذا للتراجع إلى سوق الأهواز التي اتخذ منها مراكزا لقواه العسكرية, وشكل على رقبة جسر قائم على نهر دجيل, حامية تذود الجيوش العربية وتمنعها من العبور اليه.

ولما اخفق الهرمزان في الميدان العسكري, أخذ يعمل على الصعيد الديبلوماسي, ودارت ما بينه وبين عتبة مفاوضات أقر فيها بسيادة العرب على سوق الأهواز ومنطقتي مناذر ونهر تيري, حيث أخذت القبائل العربية تتساح فيها بناء على أوامر الخليفة.

ولكن ما كاد القائد الفارسي يسترد أنفاسه حتى جعل يحرض الفلاحين على العرب, ولما آنس فى نفسه القدرة على منازلتهم نقض عهده وهاجم غدرا إحدى المناطق العربية, فكاتب عتبة الخليفة عمر بن الخطاب فأمده بجيش على رأسه حرقوص بن زهير, وأصدر أمره لقائده بضرورة كسر شوكة الهرمزان.

ودارت رحى معركة حاسمة ما بين الجيشين على جسر سوق الأهواز , أسفرت عن اندحار الجيش الفارسي اندحارا كاملا, وتقدم

الجيش العربية المنتصر نصرا مؤزرا يتعقب الجيش المنهزم, وقد فتح فى طريقه مدينة " تستر" متابعا اللحاق بالهرمزان الذي التجأ إلى مدينة هرمز وتحصن بها, وأنشأ يفاوض العرب من جديد على الصلح , فأقروه على ما بيده بناء على موافقة الخليفة.

وتداول على ولاية البصرة بعد عتبة كل من المغيرة بن شعبة وأبي موسى الأشعري, فرأى الهرمزان الفرصة مؤاتية لنقض العهد مرة اخرى ورأى ابو موسى ان من واجبه تصفية حساب الهرمزان تصفية نهائية , فطفق يصاول القائد الفارسي ويجاوله, وخلال تعقبه له أطبق على مدينة "سوسن" الاستراتيجية محاصرا اياها, فبعث يزدجرد أحد قواده ويدعى سياه الأسواري ليساعد على فك الحصار عن المدينة ولكن ما ان احتك هذا القائد بالقوات العربية حتى ادرك انه لاقبل للجيوش الفارسية بوقف المد العربي لما يحمل المحاربون المسلمون في اعماقهم من قوى روحية خارقة, فداخلت مهابة الحق قلب الرجل وفاوض ابا موسى على اعتناق الاسلام والحرب تحت رايته , وقبل أبو موسى طلب سياه, وهكذا اصبح الفارسي يحارب الفارسي تحت الراية العربية , ولم تصمد مدينة سوس فاستسلمت للجيش العربي, وتابع هذا الجيش زحفة فافتتح مدينة " رام هرمز " وانطلقوا منها الى مدينة" تستر " التي تداولتها الأيدى غير مرة, وقد جعل منها الهرمزان حصنا له.

وضرب الجيش العربي الحصار على تستر وطلب في الوقت نفسه النجدة من دار الخلافة فأمدته بكتيبة من جيش سعد بن أبي وقاص بقيادة جرير بن عبدالله البجلي أحد أبطال القادسية والبويب. ولما ضاقت الحال بالفرس وراء أسوارهم لم يجدوا مناصا من الخروج لملاقاة العرب , فدارت بين الفريقين معركة شديدة الضراوة انكفأ الفرس على اثرها الى الخنادق والعرب يقتحمونها عليهم ويعلون هاماتهم بالسيوف.

وفي ليلة ضريرة النجم , سار فارسي بمائتين وأربعين من مغاوير العرب الى قلب المدينة المحاصرة عبر طريق سري ولم

يهل فجر اليوم التالي إلا وكانت صيحة " الله اكبر " تتعالى فوق اسوار المدينة.

أما الهرمزان المكافح العنيد والمقاتل اليائس, فقد اعتصم بقلعة المدينة, ثم بعث يفاوض ابا موسى على التسليم شرط ان ينظر الخليفة فى أمره , فاجيب إلى طلبه وبعث به إلى المدينة, حيث اشترى حياته بحيلة بارعة.

عرب الخليج يركبون البحر ويقتحمون منطقة اصطخر

كان عمر بن الخطاب قد عزل فى أول عهده الصحابي العلاء الحضرمي عن ولاية البحرين ثم أعاده اليها.

ولما تناهت للعلاء أنباء فتوح سعد بن أبي وقاص, وما أسدى للعرب والمسلمين من يد بيضاء, نفس على سعد هذه المكانة وطمح إلى أن يكون له دوره هو أيضا في الفتوحات العربية في بلاد فارس.

وبمبادرة ذاتية, ودون إذن الخليفة أو علمه , ركب العلاء البحر وعبر بجنوده إلى مقاطعة اصطخر, التى يسميها الغربيون بيرسوبوليس, وكان عليها وال يدعى الهربذا وقد استطاع بما أوتي من حيلة ودهاء أن يضع يده على سائر قطع الاسطول العربي.

ولم يتردد العلاء أو يضطرب لخطورة الموقف, وكان إلى جانبه خليد بن المنذر ابن ملك البحرين السابق الذى لبى دعوة الرسول إلى الاسلام , وهو يتمتع بمنزلة عالية في نفوس البحرانيين, وقد استطاع بموقفه الجرئ أن يعدل الكفة لمصلحة العرب, اذ وقف يخطف فيهم قائلا:

" ان هؤلاء لم يزيدوا بما صنعوا على أن دعوكم إلى حربهم, وإنما جئتم لذلك, والسفن والأرض لمن غلب, واستعينوا بالصبر والصلاة وانها لكبيرة إلا على الخاشعين!.."

ودبت الحمية فى النفوس التى نذرت نفسها للجهاد ورفع راية التوحيد, وصاول المجاهدون أعداءهم ولكنهم لم يستطيعوا ألى كسر شوكتهم سبيلا, فعسكروا بحيث يكونون في مأمن, ريثما يأتيهم المدد من دار الخلافة, ومد عمر بن الخطاب أولئك الجند الذين قطعوا في أرض العدو, بجيش على رأسه عتبة بن غزوان فنازل الهربذا وحطم عنفوانه.

واما العلاء الذي نفس على سعد بن أبي وقاص مجده, فكان جزاؤه العزل والعمل تحت إمرة وقيادة سعد.

تصفية الامبراطورية الفارسية

لم يكن من أهداف عمر بن الخطاب تصفية الامبراطورية الفارسية, تدل على ذلك موافقته المتكررة على طلب الصلح كلما تقدم به الهرمزان بعد نكول سابق. ولا ريب في أن العرب كانوا يعتقدون بأن بلاد الفرس بأن بلاد الفرس إنما تقع الى الشرق من جبال زاغوس, أما ما وقع فى غربها فهو من أراضي العرب التي يسعون إلى تحريرها بدليل أن معظم سكانها من العرب. وقد انتهى تحرير هذه الأراضي بفتح المدائن وجلولاء في الشمال ومنطقة الاهواز في الجنوب, ولكن الأحداث المتلاحقة فرضت على العرب أن يخوضوا مع الفرس حروبا متواصلة حتى قضوا على امبراطوريتهم القضاء النهائي, ذلك لأن الامبراطورية العجوز, رغم الجراح العميقة التي أصيبت بها , ورغم هزائم جيوشها المتلاحقة كلما نازلت القوى العربية الزاحفة قدما, فتحا وانتصارا, أو المتأهبة بحالة الدفاع منعة واقتدارا, كانت ترفض بعناد وإصرار التسليم بهزيمتها, مستفيدة من ذلك النبع البشرى الثر الذي يمد جيوشها بوقود المعارك.

ويبدو أن يزدجرد الشباب قد فولذت الأحداث أعصابه وصقلت شخصيته, وكانت عصبيته الساسانية تصور له أن من الكبائر أن

تخضع فارس ذات العظمة والأمجاد " لرعاة الابل " وقد ظلت هذه الفكرة تسرى في دماء فارس حتى بعد أن انضووا تحت الراية الاسلامية وآمنوا بالرسالة المحمدية وعبر عنها الادب الشعوبى خير تعبير ابتداء من ابي نواس شاعر الرشيد وأحد امراء البيان العربي القائل " ليس الاعاريب عند الله من أحد ! " الي الفردوسي صاحب " الشاهنامة " الفارسية الرافع عقيرته بالشكوى:

" بلغ الأمر بالعرب بعد شرب حليب النوق واكل الضباب, أن صاروا يتمنون تاج كسرى.. ألا تبا لك ايها الفلك الدوار !. . "

هذا في معرض الهجاء للعرب, أما في معرض الفخار بفارس فحسبنا قول مهيار الديلمي في مديح قومه:

قومي استولوا على الدهر فتى ومشوا فوق رؤوس الحقب

عممـــوا بالشمس هاماتهم وبنـــوا أبياتهم بالشهب

وأبي كسرى عـــلا ايوانه أين فى الناس أب مثل أبي؟

لكن رغم هذا المديح وذلك الهجاء , كيف كانت تجرى الاحداث؟

لم يظل يزدجرد الذي التجأ الى ما وراء جبال زاغوس حيث هو, وانما انتقل الى مرو عاصمة مقاطعة خراسان, وطفق يبعث برسائله الشاهانية الى زعماء المقاطعات المجاورة يستحثهم على تدارك موقف الامبراطورية الموشك على الانهيار, ومواجهة مد الفتح العربي.

وأخذت وفود المقاطعات الفارسية تترى الى مقر الملك الذي كان يبعث في روعهم العزيمة وفي نفوسهم الشجاعة, فكانوا يزدادون التفافا حول راية الامبراطورية مصممين على منازلة العرب ودحرهم, كما أجمعوا على أن معركتهم المقبلة ستكون في نهاوند التي عرفت باسم اكباتانا في التاريخ القديم.

ولم يكن العرب بغافلين عن تحشدات الفرس, وقد كتب سعد بن أبي وقاص ألي الخليفة يشرح له الواقع ويستأذنه فى مقارعة الفرس ومنازلتهم في عقر دارهم, كما يطلب منه المدد , وكان الخليفة يمانع من قبل في تقدم الجيوش العربية للتوغل في البلاد الايرانية , لأنها بلاد شائعة جدا وتمتاز بمناطق جبلية يصعب على العرب التنقل فيها لاعتيادهم على الحروب في المناطق السهلية المكشوفة.

فتح الفتوح

وجلجل نفير الجهاد من جديد, وتدفقت جموع المتطوعين المجاهدين الى المدينة, فبعث بها الخليفة الى العراق وانتدب لقيادتها النعمان بن مقرن الذى كان يقود رتلا من المقاتلين في الأهواز.

وكان النعمان عند حسن ظن الخليفة به من المهارة فى القيادة والادارة , فعمل على تعبئة العرب تعبئة بارعة, وسار بمجموعة لمواجهة الفرس فى عقر دارهم , وقد استطاع السيطرة فى مدة وجيزة على المناطق الاستراتيجية , والاشراف على المسالك الجبلية المهمة , والزحف من ثم الى نهاوند حيث تتجمع القوات الفارسية.

ولم يكن الفيرزان قائد الجبة الفارسية بأقل براعة ومهارة , لاسيما وأنه خبر أساليب الحروب العربية وما تعتمد عليه من الهجوم الصاعق, وقد عمل على إحباط الخطة العربية بأن زرع الطريق المؤدية إلى الخطوط الفارسية بالمسامير , وهكذا يكون الفرس قد استعملوا للمرة الأولى حرب الألغام حسب تعبير الجنرال غلوب.

واجتمع القادة العرب يتشاورون في المفاجأة التي لم يشهدوا لها مثيلا من قبل, وكان فيهم من ذوى الرأى الراجح طلحة الأسدي

وأبو موسى الأشعري وعبدالله شيخ بني بجيلة, كما كان في عداد لأبطالهم القعقاع بطل ليلة الهدير في معركة القادسية, وقرر الجميع المكر بالفرس وأخذهم بالحيلة.

وتقدم القعقاع بثلة من رجاله يصاول الفرس وينازلهم في معركة لم يطل أمدها إذ ما لبث أن انكفأ مع رجاله متظاهرين الهزيمة. واستخف النصر الجموع الفارسية فأخذت تتدفق من مكامنها ومعاقلها, لتطارد جيش العرب المندحر امامها, وبالتالي لتنظيف واجهة الحلبة مما زرعت به من مسامير. ولكن لم تطل فرحة الفرس وهليلهم للنصر النتظر, إذ فوجئوا بجموع العرب تبرز لهم من كل مكان , وانعطف القعقاع من جديد ليجبه اولئك الذين اولا ثم ظهره, ورددت السهول وأطراف الجبال شعار " الله أكبر " وانقض النعمان متقدما افراد جيشه فتلقاه الفرس بطعنة رمح نفذت في جنبه, فتجندل عن صهوة جواده, وتسلم منه الراية حذيفة بن اليمان حسب تعليمات الخليفة.

حمي وطيس المعركة بشكل رهيب, وصبر الفرس لحار الدماء, ولكن قائدهم ما لبث أن لوى عنان فرسه هاربا بالفعل لا عن خديعة,

ولكن لم يطل أمد انطلاقه بالهزيمة إذ تولاه من تخطف روحه.

واختلت صفوف الفري اختلالا بينا, حتى طلب بعضهم الهرب في دروب المسامير. وسمى العرب معركة نهاوند: فتح الفتوح , لكثرة ما أوقعوه من ضحايا بالجيوش الفارسية, ولأن الامبرطورية الفارسية أضحت على رحبها, بعد هذه المعركة , ملعب الجياد العربية.

وتقدمت الجيوش العربية تجني ثمرات النصر وهي تتعقب الفصائل المنهزمة, ولما انعطفت على نهاوند فتحت المدينة أبوابها صلحا دون إراقة نقطة الدم. وكان ذلك في سنة 22ه 642م.

وانساحت الجيوش العربية في نزهة تعقبها للجيش الفارسي, حتى بلغت همذان فسلمها واليها خسرو شنوم دون قتال.

أما يزدجرد فقد لجأ إلى مدينة الري التي تقع قرب طهران الآن, سالكا حسب تقدير الجنرال غلوب ذات الطريق الذي سار عليه داريوس الثالث قبل ألف من السنين حين كان يتعقبه الاسكندر الكبير.

ولم يكن يزدجرد أسعد حظا من داريوس, إذ أخذت المدن الفارسية تنهار تباعا أمام القوى العربية, إما تحت ضربات القتال أو بصك أمان, وقد كان للأنباء التي ذاعت عن عدل المسلمين وتسامحهم أثر بارز في تلك الحروب, وتدفقت جموع الفرس للدخول في الإسلام أفواجا, وكان لها أثر لا ينكر في إتمام فتوح باقي الديار الفارسية.

لكن الامبراطور القابع في مدينة الري لم يلق سلاحه بعد, وكان الأمل ما يزال يراوده في الكر على العرب واستعادة ملكه منهم, بينما كان اسفنديار أخو رستم القائد السابق منصرفا إلى تشكيل جيش كبير في شمال فارس على شواطئ بحر قزوين الجنوبية لمقاومة نعيم بن مقرن, في الوقت الذي كان أبو موسى الأشعري يتابع زحوفه في الجنوب ويتقدم ظافرا غانما.

ولم تطل المصاولة ما بين ابن المقرن واسفنديار, إذ تبدى للقائد الفارسي انه لا سبيل للتغلب على الجيوش العربية, فانضم إليها وأخذ يقاتل إلي جانبها.

وطار الامبراطور الفارسي المذهول عن واقعه غلي الجنوب ملتجئا إلي مقاطعة اصفهان, فنهدت إليه القوات العربية التي كانت تزحف على شكل مروحة في الشمال والوسط والجنوب لا يصد مسيرتها شئ.

ولما شارفت القوى الغربية اصفهان آثر أهلها السلامة والصلح مع الغرب, وكان ذلك في عام 23ه 643م, وتركوا الملك الشاب

لمصيره, فالتجأ إلى اصطخر حيث تصدى له قائد المنطقة الجنوبية أبو موسى الأشعري , فاستلمت المدينة وهرب يزدجرد إلى خراسان ليقيم ضيفا على مرزبانها, بينما تابع العرب تغلغلهم في أعماق فارس وتابع الفرس بدورهم المقاومة.

يقول الجنرال غلوب : " ولكن على الرغم من أن النقاومة الفارسية المحلية , قد قدر لها أن تستمر بضع سنوات أخرى, إلا أن شاه لم يستطع ثانية تجهيز جيش قوي لخوض القتال. واتخذت عمليات العرب في فارس بعد معركة نهاوند شكل عمليات ضغط بطيئة ومستمرة في عدة مناطق متفرقة واسعة ولكن دون أية معارك حاسمة أو حملات دراماتية من النوع الذي يستأثر باهتمام المؤرخ أو يلهب حماس الشاعر أو الانسان الوطني. وكان العرب يتقدمون في كل سنة عدة أميال إلى الأمام وتسقط في أيديهم عدة مدن بعد حصارها أو بعد ثورتها . كما كان عدد من الزعماء المحليين يتحول إلى جانب العرب في كل عام.

انتقام فارس

ولم يطبق عمر بن الخطاب عام 24ه 644م عينيه الاطباقة الأخيرة, وقد اغتيل بخنجر الغدر الفارسي, إلا وقد تم فتح فارس.

وقد روي أن عبد الرحمن بن أبى بكر قال امه رأى عشية الصبح الذى طعن فيه عمر , أبا لؤلؤة ومعه جهينة والهرمزان , وهم نجي, فلما رأوه تاروا فسقط منهم خنجر له رأسان ونصابه فى وسطه, وهو وصف الخنجر الذي طعن به عمر. يقول الأستاذ محمد عزة دروزة :" وكل هذا يسوغ القول أن استشهاد عمر كان نتيجة لمؤامرة بيتها المذكورون حقدا عليه, لما وقع في عهده من وقائع قوضت مملكة الفرس , وأخضعت العراق وفارس للسلطان العربي الاسلامي".

ومما رواه ابن الجوزي ان عمر قبل أن يعرف قاتله عصب جرحه وخرج فصلى, ثم قال " يا أيها الناس أكان هذا على ملأ منكم؟ " فقال له علي بن أبي طالب : " لا والله لا ندرى من الطاعن من خلق الله, أنفسنا تفدي نفسك , ودماؤنا تفدي دمك" فالتفت إلى عبد الله بن عباس فقال :"اخرج فاسأل الناس ما بالهم واصدقني الحديث" فخرج ثم جاء فقال : " يا أمير المؤمنين ابشر بالجنة, لا والله ما أيت عينا تطرف من خلق الله من ذكر أو أنثى إلا باكية عليك يفدونك بلآباء والأمهات.طنك عبد المغيرة بن شعبة المجوسي!" فقال :" الحمد لله الذي جعل قاتلي لا يحاجني عند الله بسجدة سجدها له قط" ثم أضاف :

" وما كانت العرب لتقتلني !"

مصير يزدجرد

أما المصير الشخصي ليزدجرد الذي تركناه مقيما في خرسان بضيافة مرزبانها, فقد كان مأساة مفجعة , وكان تعصبه لدمه الامبراطوري من أسباب نهايته المؤلمة, ذلك أن خاقان الترك نيزك طرخان وفد عليه حاملا إليه الهدايا والهبات, ثم تقدم يطلب يد ابنته, وبدلا من أن يتقوى بمصاهرة الترك والخراسانيين, أساء الرد على طلب الخاقان, متعجبا كيف يجرؤ وهو " أحد عبيده " على طلب يد ابنته .. ولم يكتف بذلك بل جعل يضايق الخرساني ويحاسبه على أعماله, فلم ير هذا بدا من ان يسلمه لمصيره, فتركه وشراذم جيشه لجحافل الترك, ففر امامها ملتجئا إلى مدينة "مرو" التي أغلقت أبوابها في وجهه..

ويطيش حلم الرجل لا يعرف أنى يتجه وأين يسير, وقد غدا وحيدا مشردا, ولكنه ما يزال يعتمر التاج ويتختم بخاتم الملك!.. ويترجل عن مطيته مسايرا نهر المرغاب بجريانه الهادئ, ثم ينعطف غلى دار طحان قائمة على ضفة النهر.. ويبهر التاج رب

الدار الفقير , فيقي عليه ويرمي بجثته في النهر, وكان ذلك في خلافة عثمان عام 32ه 652م. وبمقتل آخر أباطرة الفرس, غدت كافة أراضي فارس اسلامية الدين, يخفق عليها علم العروبة, وغدا الخليج بحيرة عربية, وشارك أبناؤه في الفتوحات العربية الكبرى التي انتظمت الرقعة الممتدة من حدود الصين إلى شواطئ بحر الأطلسي. وما يزال التاريخ يذكر للبحارة العرب في الخليج إسهامهم الفعال في فتح السند بحرا عام 89ه 707م, تحت قيادة محمد بن القاسم إذ سارت حملة القائد الشاب سالكة الطريق الساحلي المحاذي للخليج العربي, مارة بمكران, حيث واصل الجي العربي سيرة برا بينما لحقت به من هناك الأعتدة والأسلحة والقوات البحرية بطرق البحر, وبالقرب من مدينة كراتشي الحالية حاصر محمد بن قاسم مدينة الديبل واحتلها ورفع راية الاسلام التي ما تزال تخفق عليها حتى الآن.

*-المصدر:الخليج العربي بحر الاساطير- بيروت – قدري قلعجي

المنذر الأهوازي

****

عربستان اندلس الخليج

عربستان واسكندرون مشكلتان متشابهتان

لقد تمخضت الأحداث السياسية التي مرت على مسرح الخليج عن أكثر من مشكلة قومية كان للتغلغل الاستعماري في الشرقين الادنى والاوسط اليد الطولى في خلقها تبعا لمصالحه الاقتصادية وأغراضه العسكرية, فأدت النتائج الموضوعية ألى تجزئة العالم العربي, وتقسيمه إلى مناطق نفوذ, جرت المساومات السياسية

حولها, فكانت هناك عربستان التي ابتلعتها الهرة الايرانية, واسكندرون التي ازدردها الوحش المغولي, واخيرا فلسطين الجرح الذي مازال ينزف في جنب الوطن العربي بسائر كياناته السياسية.

وعربستان واسكندرون مشكلتان متشابهتان كل التشابه متماثلتان غاية التماثل, وما دمنا نعيش اجواء الخليج فالضرورة القومية علينا أن نفرد لها هذا البحث.

وقبل أن نمضى فى دراستنا التاريخية لعربستان , ومشكلتها السياسية , نرى لزاما علينا أن نلم بلمحة موجزة عن جغرافية تلك البلاد, لتتكون لدى القارئ فكرة عن مواقع ذلك الاقليم الاستراتيجى وأهميته الاقتصادية التي تجلت في القرن التاسع عشر نتيجة التنافس الاستعماري على الخليج.

تقع عربستان في السشمال الشرقي للخليج العربي وتمتد شمالا حتي جبال روستان, ويحدها من الشرق مجموعة سلاسل جبال كردستان التي تشكل حدودا طبيعية فاصلة عن ايران, وتمتد صوب الغرب حتى شرقي شط العرب, أي جنوبي شرقي العراق بلواءيه البصرة والعمارة, وتبلغ مساحتها ما يقارب تسعة وثلاثين الف ميل مربع.

وعربستان بلاد خصبة لطبيعة تكوين أراضيها, باعتبارها سهولا رسوبية طموية شاسعة, غنية بمواردها المائية, يمر فيها كل من نهري قارون والكرخة, وعديد من روافد هذين النهرين وروافد شط العرب, وهي إلى جانب ذلك غنية بحقول البترول, وتعتبر " أهم منطقة زراعية في ايران, وكانت بنظر الرأسماليين الاوربيين منطقة خصبة للاستغلال التجاري والصناعي."

وعرفت عربستان تاريخيا باسم " ألأهواز" , وقد مر معنا, في فصل الفتوحات الاسلامية الكبرى, كيف كان هذا القطر العربي موضع نظر أول خليفة للرسول, وكيف كان منذ الصدمة الاولى اقليما اسلاميا دلل على أصيل عروبته بأن أسهم أبناؤه البواسل في

الفتوحات العربية الكبرى , ركبوا متون البحر, وتوغلوا في البر الايرانى و حتى ركزت راية العروبة ليس في اقصى نقطة من ايران فحسب, وانما اندفعت إلى تخوم الصين, وتوغلت في رحاب الهند, وظل وسيبقى عربيا اسلاميا كما كان, وقد خضع شأن سائر الأقاليم الاسلامية , لأثر انحلال الامراطورية العربية الاسلامية, ونشوء الدول العربية المستقلة, فكان في بعض الأحيان يخضع للدول المتتابعة, أو يستقل اداريا بحكم ذاتي كما سبق ووقفنا عليه في تسلسله التاريخي.

عربستان المستقلة تقاوم حملات العدوان

وفي العصور المتأخرة, بينما كانت البلاد الايرانية تتخبط في دوامة الانقسامات وقيام عديد من الدول التي هي أشبه بالشرارات ما تكاد تضئ حتى , متنافرة متناحرة, كل ولاية دولة مستقلة استقلالا ذاتيا عن العاصمة الايرانية , شهد اقليم عربستان في منتصف القرن الثامن عشر وفاة نادر شاه, مقدم قبائل عربية استوطنت إلى جانب القبائل العربية الأخرى, وبسطت نفوذها على قسم كبير من أراضي ايران الجنوبية الغربية, واتخذت من مدينة الفلاحية مركزا لها , وكان على رأس ذلك المد القبلي بنو كعب الذين أجلوا عنه الجيوب الايرانية الفارسية, وأنشأوا اسطولا قويا دعموا به استقلال امارتهم الناشئة.

وظل بنو كعب الأشاوس محافظين على استقلال امارتهم التي تحطمت على متماسك صخرتها سائر الهجمات الايرانية, وارتدت عنها مقهورة مخذولة, فعمدت السلطات الايرانية , وقد كلت أنيابها وتحطمت براثنها, إلى جميع الوسائل لإضعاف روح المقاومة العربية, حتى أنها عمدت إلى هدم السدود وسد مجاري الأنهار, فلم يجدها ذلك فتيلا, وظلت جيوش بني كعب قوية غلابة , تعرف كيف تروض الجيوش الايرنية على التماس سبل الفرار لتضرب في أعقابها كلما فكر شاه ايراني بخضد شوكة الامارة العربية.

وبدأت أهمية عربستان تظهر دوليا بشكل مرموق حين تم تشييد مدينة المحمرة عام 1812(1227ه) في فترة حكم الشيخ حاج يوسف مرداو من عشيرة بني كساب احدى أفخاذ بني كعب , فعمدت القبائل العربية إلى تشكيل اتحاد فيما بينها, وبخاصة الكعبيين والقبائل القديمة الجذور في استيطان عربستان , وقد جمعتها وحدة الهدف والروابط الحياتية المتشابهة.

ولقد استطاع الكعبيون طول حكمهم اقليم عربستان, الثبات أمام النكبات التي اعترضتهم بجرأة وبسالة, لا جنة لهم إلا ظبى سيوفهم, ووقفوا كالطود الثابت أمام ثلاث قوى ائتلفت ضدهم في حملات اشترك بها كل من الايرانيين والعثمانيين والأسطول البريطاني في الخليج العربي في معركة حامية الوطيس وقف بها عرب عمان ألى جانب اخوانهم بنى كعب.

الشاه يعترف باستقلال الامارة العربية

وفي عهد الحاج جابر شهدت عربستان تطورا عظيما , إذ مصر مدينة المحمرة التي ازدهت وازدهرت بشكل أخذ يثير أطماع كل من الايرانيين والعثمانيين على السواء, فحاولوا بشتى الطرق التطويح باستقلال هذه الامارة الفتية المتطورة . وقد قامت القوات العثمانية عام 1837(1253ه) بتجريد حملة عسكرية على عربستان فأنزلت بالامارة خسائر فادحة رغم الصمود الباسل الذي تحلت به جيوش الامارة, مما اثار الذعر في قلوب الايرانيين خوف تطويقهم بالقوات العثمانية من الغرب والجنوب معا, فبادرت بالاحتجاج وطالبت- يؤيدها الحاج جابر- بالتعويض عن الخسائر التي ألحقها الجيش التركي بالامارة العربية, فكانت النتيجة أن اجتمع أطراف النزاع بالاشتراك مع ممثلين عن الحكومتين الروسية والبريطانية, وتمخضت المفاوضات التي استمرت ثلاث سنوات عن عقد معاهدة ارضروم 1847(1264ه) و" خصت

فيها المحمرة وعبادان وبعض المناطق الأخرى بالدولة الايرانية, وألحقت مدينة السليمانية وتوابعها بالدولة العثمانية."

وبذا تكون الدولتان الكبيرتان قد قسمتا عربستان إلى منطقتي نفوذ, وكانتالولة العثمانية تدعي ان الامارة تابعة لاقليم البصرة , ردا على ادعاء ايران بأنها جزء من أراضيها.

وفي تلك الفترة قامت نزاعات داخلية محلية بين القبائل العربية , وسعى كل شيخ من مشايخها إلى الاستقلال بمنطقته, مما ساعد الحاج جابر على كسر شوكتهم جميعا, ومد رواق سيطرته من المحمرة على معظم اراضي عربستان, وفي هذه الأثناء بالذات تحركت بريطانية تبغي السيطرة على هذا الاقليم الحساس استراتيجيا , مما حدا بالشاه الايراني- وقد تعرضت بلاده وعربستان معا لاعتداء بريطانية عام 1857(1274ه) – إلى الاعتراف باستقلال الامارة العربية , وتعهدت كل من فارس والامارة أن تقفا صفا واحدا ضد كل اعتداء أجنبي.

بريطانية تحالف عربستان

وبلغت عربستان أوج عظمتها في فترة حكم الشيخ ابن الحاج جابر الذي ارتقي سدة الحكم عام 1897(1315ه) , إذ تمكن من بسط سيطرته على كافة اقليم عربستان, فكانت قوته العسكرية تفوق قوى الدولة الايرانية ... وقد اندفعت بريطانية في خضم سياستها الاستعمارية للتقرب من الشيخ خزعل الذي رأت فيه حليفا, كما توسم هو في بريطانية نصيرا له , وبخاصة عندما طرح على بساط البحث مشروع فتح نهر قارون للملاحة البريطانية , لأن هذا النهر يمر في قسم كبير من أراضي عربستان, كما وضعت المخططات الاقتصادية لاستغلال ثروات هذا الإقليم.

وظهرت أهمية هذه الامارة بشكل خاص في نهاية القرن التاسع عشر من حيث الاستراتيجية العسكرية . ورأى العسكريون البريطانيون أن يسيطروا عليها ردا على مطامع روسيا القيصرية ومحاولة مد نفوذها إلى منطقة الخليج العربي , وبمعنى آخر القضاء على التجارة البريطانية في الخليج والمحيط الهندي, وكانت تصريحات اللورد كيرزون تؤكد هذه الحقيقة , وقد أشار في احدى مذكراته التي بعث بها إلى نائب الملك في الهند عام 1896(1314ه) " إلى احتمال قيام روسية بالسيطرة على شمال ايران , ثم تقدمها إلى الجنوب صوب الخليج العربي فقال: أن أي هجوم عسكري روسي من هذا النوع يجب يتبعه هجوم بريطاني على عربستان , وذلك لإغلاق أي طريق يوصل الروس إلى المحيط الهندي والخليج العربي."

وانطلاقا من هذا المسار سارع البريطانيون لتوطيد علاقاتهم بالشيخ خزعل, بغية جرة إلى جانبهم في أي نزاع انكليزي روسي مرتقب يمتد إلى جنوبي ايران.

وكان الشيخ خزعل يقف أبدا على أهبة الاستعداد لمجابهة أية حملة عسكرية قد ترسلها طهران, في محاولة لبسط سيطرتها على اقليم عربستان , عاملا جهده لتوطيد استقلاله, حتى أنه رغم

اواصر الود القائمة ما بينه وبين بريطانية عمل على احباط مشروع نهر قارون الذي اقرته ايران.

ولما غدت ايران واقعة كليا تحت السيطرة الاستعمارية : البريطانيون في الجنوب والروس فى الشمال , وأخذت كل دولة تستعد لمد سيطرتها على أوسع رقعة ممكنة من أملاك الشاه التي غدت مسرحا للتنافس العسكري الاقتصادي معا, ,مما نجم عنه قيام الثورات الوطنية , والمطالبة بوضع حد للتدخل الاستعمارى في شؤون ايران الداخلية, رأى الشيخ خزعل أن يفصم كافة ارتباطاته بالحكومة الايرانية واعلان استقلال بلاده استقلالا تاما, ولو دفعه ذلك لمجابهة ايران ومحاربتها, ودعامته في ذلك قوته العسكرية وسفنه الحربية, " وكان على استعداد لأن يدفع ب40/000 جندي إلى الميدان , وكان هذا الجيش مسلحا تسليحا حديثا يفوق تسليح الجيش الايراني, كما يفوقه من ناحية العدد, وكان الشيخ خزعل يتجاهل حكومة الشاه تجاهلا تاما في السياسة العليا, ويرجع اليها في الامور الثانوية فقط".

ومما يسترعي الانتباه كذلك أن قبائل البختارية القوية كان يربطها بالشيخ خزعل امتن أواصر التعاون, كما امتد نفوذه على غيرها من العشائر الايرانية.

بريطانية تعترف باستقلال عربستان

واستهدفت بريطانية فيما استهدفته تجنب وقوع أي اشتباك مسلح ما بين الشيخ خزعل والدول الايرانية لما سيترتب على ذلك من نتائج خطيرة قد تسنح معها الفرصة لتدخل العثمانيين من جهة, وتدخل القبائل العربية في العراق وشبة الجزيرة من جهة ثانية, باعتبار أن تلك القبائل مرتبطة والشيخ بالتحالف الفبلي الذي يؤكد تساند القبائل وتآزرها بكل ملمة تصيب اية قبيلة. ثم رأت بريطانية في عام 1902(1320ه) أن من الأفضل لها الاعتراف ضمنيا

باستقلال الامارة حين ظهرت في أفق السياسة الاقتصادية بوادر مشاريع روسية لمد سكك حديدية في ايران تنتهي بعربستان , فضلا عن مطامع روسية باستغلال بترول الامارة العربية, وبخاصة بعد موافقة الشاه على مشاريع سادة الكرملين.

واكدت بريطانية عزمها هذا بأن عقدت في عام1905(1323ه) معاهدة مع الشيخ خزعل, بعد أن وضعت يدها على آبار البترول في عربستان . وقد نصت تلك المعاهدة على تقديم المساعدة العسكرية في حال وقوع أي اعتداء على اماراتهكما وعدته بحفظ كيان الامارة.

وفي عام 1914(1333ه) اعترفت بريطانية رسميا باستقلال عربستان , وقدم الكولونيل كوكس وثيقة الاعتراف للشيخ خزعل , وهي تؤكد من جديد عزم بريطانية على صون استقلال الامارة , وتقديم المساعدة العسكرية في حالة قيام ايران بأي خطوة تهدد الكيان العربستاني.

المؤامرة الايرانية البريطانية على عربستان

إلا أن بريطانية أخذت توجس بعد الحرب العالمية الاولى خيفة من النفوذ الشيوعي الذي أخذ يتسلل إلى شمالي ايران, ورأت أن من مصلحتها أن تنقلب على صديقها الشيخ خزعل لتقف إلى جانب رضا خان, وزير الدفاع الايراني , فرئيس الوزراء , فالشاه بعدئذ, لأنه يمثل الاتجاه القومي الفارسي الذي وقف في وجه المد الشيوعي, وقد غدا رجل فارس القوى الذي آلى على نفسه بعث أمجاد الأكاسرة.

ووصل إلى عربستان جيش ايراني على رأسه الجنرال فضل الله تحت ستار مفاوضة الشيخ خزعل, في الوقت الذي قطعت بريطانية على الشيخ سبل المواصلات ما بينه وبين العشائر العربية في العراق, كما ثبطت قبيلة البختاري عن الأخذ بناصره, وأنذر

المقيم السياسي البريطاني برسيلورين الشيخ خزعل بسحب جميع التعهدات المقطوعة له إن قام بأية حركة , وهكذا تم حبك المؤامرة من جميع اطرافها , وحمل الشيخ العجوز الذي قعدت به السن عن امتشاق الحسام إلى طهران عام 1925(1344ه) حيث لاقى حتفه فيها 1936(1355ه) .

وبعد أن تمت تلك المؤامرة الايرانية البريطانية, اطلقت حكومة ايران علىعربستان اسم خورستان لتمارس في منطقة العروبة أشد ضروب التجهيل والافقار ومحاربة اللغة العربية ومحاولة اذابة العرب عن طريق التزاوج بالايرانيات , وجلب جالية ايرانية كبيرة لتجاور العرب في اراضيهم , بعد نقل عشائر عربية بكامها إلى شمالي ايران, في سياسة لا تختلف بشئ عن سياسة التتريك التي مارستها جمعية الاتحاد والترقي تجاه العرب في اخريات أيام الامبراطورية العثمانية , لم يقف العرب تجاه كل ذلك مكتوفي الأيدي وانما هم ينتفضون ويثورون, الانتفاضة بعد الانتفاضة, والثورة أثر الثورة, ومازال الجمر تحت الرماد.

المنذر الأهوازي

*-المصدر: الخليج العربي بحر الاساطير – قدري قلعجي- بيروت

شبكة الأحواز للانترنت : لجنة حماية تسمية الأحواز : تسترعي انتباه السادة القراء ان التسمية التاريخية العربية للمنطقة هي الأحواز وليست الأهواز